

مأساة المعتقلين ومصادقية الرئيس الأسد

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية

علق الكثير من اللبنانيين آمالاً كبيرة على وصول الرئيس بشار الأسد إلى الحكم واعتبروا أن مواقف هذا الشاب الإنسانية، وخصوصاً أنه طبيب، قد تكون مختلفة عن مواقف أبيه في مجالات كثيرة في الداخل السوري وفي لبنان، خصوصاً لجهة معاناة المعتقلين اللبنانيين اعتباراً في السجون السورية وملف الحريات في سوريا نفسها إضافة للهيمنة المدمرة على لبنان. إلا أن الواقع المعاش بعد سنة من تسلمه الحكم أحبط كافة الآمال تلك وبين أن السياسة السورية التي فرضها الأسد الأب ما زالت قائمة دون أي تعديل وإن اختلفت طريقة الأداء. أثناء زيارته الأخيرة لفرنسا أكد الرئيس الأسد في مؤتمر صحفي وخلال اجتماعه بالنواب الفرنسيين ودون أن يرشح له جفن أن لا معتقلين لبنانيين في السجون السورية وهو يعلم علم اليقين أن العشرات من عائلات هؤلاء الأحياء-الأموات يقومون بزيارتهم في أماكن اعتقالهم بشكل منظم. هذا الموقف اللإنساني افقده مصداقية هو بأمس الحاجة إليها لتجميل صورة حكمه العسكري الاستبدادي.

لجنة سوليدا للدفاع عن المعتقلين اللبنانيين اعتباراً، منظمة سيدير وتش لحقوق الإنسان وغيرهما العديد من المنظمات الدولية والمحلية التي تعنى بحقوق الإنسان سخروا من كلام الرئيس هذا وطالبوه التعامل مع هذه المأساة الإنسانية بعقلية تختلف عن تلك التي فرضها والده على اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين وقد صدرت عدة بيانات وردود تناولت هذا الأمر كان من بينها رسالة وجهها الصحفي وداعية حقوق الإنسان نزار عيوف إلى الرئيس الفرنسي ذكر فيها أن هناك قبر جماعي في محيط سجن تدمر يحوي ما بين ١٣ و ١٧ ألف جثة لمعتقلين قضوا بنتيجة التعذيب من بينهم ١٥٠٠ لبناني. علماً أن عيوف الذي أفرج عنه مؤخراً أمضى في المعتقلات السورية تسع سنوات تعرض خلالها لأبشع أنواع التعذيب.

لجنة سيدير وتش عدت للرئيس الأسد ببيان وزعته على وسائل الإعلام المنظمات الإنسانية أسماء السجون التي يتواجد فيها المعتقلون اللبنانيون وهي: معتقل بلدة خان أبو الشامات شمال شرق دمشق، التابع للاستخبارات الجوية السورية ويضم ٤٠ لبنانياً-معتقل فرع الاستخبارات الجوية في بلدة حريستا في ضاحية دمشق، المسؤول عنه العميد عز الدين إسماعيل ويضم ٢٠ معتقلاً لبنانياً.المعتقل ٢٥١ في ضاحية المزرة قرب مركز الهلال الأحمر، شارع بغداد والمسؤول عنه العقيد تركي حامد علم الدين، ويضم ١٧ لبنانياً. -الفرع ٢٨٥ التابع لإدارة المخابرات العامة قرب دوار كفرسوس في دمشق، المسؤول عنه العميد عزيز عباس ويوجد فيه ٣٠ معتقلاً لبنانياً. وطالبت المنظمة بفتح تحقيق فوري وجدي لإطلاق

المعتقلين اللبنانيين الموجودين في السجون السورية والذين مضى على اعتقال بعضهم عشرات السنين ومن بين هؤلاء خصوصا عضو المكتب السياسي الكتائبي بطرس خوند الذي تؤكد المعلومات المتوافرة وجوده في الفرع ٢٨٥ ، إضافة إلى الرهبان والضباط والعسكريين اللبنانيين المعتقلين في سجن تدمر منذ ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ .

بدورها سوليدا "لجنة المعتقلين اللبنانيين اعتباطاً" وزعت تقرير بتاريخ ٢٠٠١/٧/٣ قالت إنها أرسلته إلى الإدارات الفرنسية والأوروبية تناول معتقل تدمر السوري قالت فيه إن هذا المكان المرعب يضم عشرات المدنيين والعسكريين اللبنانيين من أصل ١٧٠ لبنانياً اعتقلوا قسراً من لبنان ونقلوا إلى السجون السورية. السلطات اللبنانية التي تخلت عن مسؤولياتها تطالب أهالي المعتقلين تقديم إثباتات على وجودهم، في وقت تعذر فيه على الأهالي الوصول إلى جوار منطقة تدمر في الصحراء السورية.

عددت سوليدا مستندة إلى شهادات معتقلين سابقين ٣٠ وسيلة لتعذيب المعتقلين في السجون السورية منها أسلوب الدولاب والضرب المتواصل بواسطة أدوات حديدية على أجزاء معينة من أجساد المعتقلين للتسبب بعاهات دائمة، إجبار المعتقل على شرب كميات كبيرة من المياه ثم ربط مثانته برباط مطاطي لمنعه من التبول، رفع أقدام المعتقلين إلى أعلى فيما تترنح رؤوسهم في الهواء لفترات طويلة. إجبارهم على ضرب بعضهم البعض بقساوة وشراسة، تناول بيض نيء وجرذان إضافة إلى أدوية وعقاقير غير معروفة وحضور عمليات الإعدام الجماعية وخصوصا بواسطة الشنق من أجل إرهابهم. لقد مضى على اعتقال بعض اللبنانيين اعتباطاً عشرات الأعوام وبين هؤلاء الرهبان الأنطونيان شرفان وأبو خليل والضباط والعسكريون المعتقلون في سجن تدمر منذ ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ ، إضافة إلى من اعتقلوا خلال الأعوام الفائتة. علماً أن السلطات السورية لا تسمح لأي جهة دولية بمن فيها الصليب الأحمر بزيارة سجونها، كما أنها ترفض باستمرار إصدار قائمة بأسماء المعتقلين رغم الطلبات المتكررة بهذا الشأن من الأمم المتحدة والدول الأوروبية وجمعيات حقوق الإنسان.

ستبقى الشكوك ملازمة لمصادقية الرئيس السوري طالما بقى نظامه اللانساني ينتهك حقوق الإنسان، يتحدى كافة الشرائع الدولية ويخالف كل القيم والتعاليم التي أوصت بها الكتب السماوية لجهة العدل والإنصاف. أما متولو الحكم في لبنان ومعهم بعض السياسيين ورجال الدين الذين باعوا كرامتهم بثلاثين من الفضة فقد تخلوا عن إنسانيتهم، وتحجرت ضمائرهم وتخرت أحاسيسهم ووصلت هرطقتهم لدرجة أن المدعي العام التمييزي القاضي عدنان عضوم ومن على شاشات التلفزة بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/١٤ اتهم أهالي المعتقلين الذين يزورون أولادهم وأزواجهم في السجون السورية بأنهم يهلوسون وأنه لا وجود لأي معتقل لبناني في معتقلات الشقيقة التي على ما يبدو وعدته بمركز رئاسة الوزراء. إن لكل ظلم نهاية، فهل هناك من يسمع؟